تعليمية النحو العربي بين طرائق التعليم السائدة وفعالية المنهج النصي

أ .محمّد الأمين مصدق
قسم الآداب واللّغة العربيّة -كليّة الآداب واللّغات
جامعة محمّد خيضر –بسكرة الجزائر

ملخّص:

نحاول في هذا المقال أن نحدّد أهم المشاكل التي يعاني منها النحو العربي التي تتجاذبها أطراف ثلاثة هي :الطالب والأستاذ والمنهج المتّبع، مع عرض موجز لأشهر الطرق المنتهجة في تدريسه .وفي النهاية التأكيد على أهميّة المقاربة النصيّة التي تصلح أن تكون بديلا للطرق التقليديّة، من أجل تذليل الصعوبات التي تواجه طلبة أقسام اللغة العربية وآدابها في تحصيل مادة النحو.

الكلمات المفتاحية :تعليمية النحو؛ طرائق التدريس، المنهج النصي

Abstract :

In this article, we try to identify the most important problems in the Arabic grammar, which are attracted by three parties: the student, the professor and the curriculum followed, with a brief presentation of the most famous methods used in teaching it. Finally, emphasizing the importance of the textual approach that can serve as an alternative to traditional methods, in order to overcome the difficulties facing the students in the departments of Arabic language and literatures in the understanding of grammar.

Key words : grammar ; educational methods ; textual approach.

تمهيد:

تواجه اللّغة العربية صعوبات جمّة في مساق تدريسها وتدارسها؛ إذ تئن تحت وطأة وسم قواعدها بالتعقيد الذي تولد عن إجحاف سبّبته المناهج التعليميّة المعتمدة في الجامعات؛ مما جعل الطلبة والأساتذة على حد سواء ينفرون من النحوِ الذي هو بمثابة العمود الفقري لهذه اللّغة الشريفة التي أنزل الله بها خير كتاب يتلى معجزا بألفاظه ومعانيه وبلاغته وتشريعه .ولقد بان للعيان أنّ اتّباع الطرق التقليديّة الجافية في تلقين مادة النحو قد أضرّ أكثر مما نفع، فكم

من متكلّم أراد أن يفصح فوقع رغم أنّه لماهية القواعد قد جمع، فبات لزاما أن يُنحى نحو جديد في التدريس حتى لا يحول بين المتعلّم وفقهه لهذا العلم الجليل الخطل والتلبيس.

في مفهوم النحو، والنصّ، والتعليميّة :

-1النحو:

إنّ النحو أداة تستقيم بها الألسنة وتنجلي بها المفاهيم، وتُبلغ عن طريقه المقاصد، وتنأى بالتزامه الألسنة عن القول السمج الفاسد، وإذا أردنا أن نقف على المفهوم اللّغوي لمادة) نحو (فإنّنا نجدها تأتي بعدّة معانٍ منها :القصد، والبيان والجانب، والمقدار، وبمعنى المثل، وبمعنى النوع، وبمعنى البعض، وبمعنى القريب، وبمعنى القِسم.

أما في الاصطلاح فيعرّفه ابن جنّي) ت 392 هـ (بأنّه» :انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير، والإضافة، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها`«

ويعرّف أيضا بأنه» :العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها.«

وعليه يتّضح أنّ لفظة نحو في الاصطلاح والاستعمال غايرت المنحى الأصلي الدلالي الذي وضعت له؛ شأنها في ذلك شأن كثير من الألفاظ العربية بارتقائها من القاعدة المبسطة الأساسية إلى المعنى الخاص الدقيق والنهائي مع نهاية مسار المعنى في القوة .فقد دلّت كلمة النحو على التفرد بانتحاء طريقة العرب في التعبير والتصريف تمييزا للعربي عن غيره وللفصيح عن سواه .

ويرتبط النحو بالإعراب، وتكمن قيمة الإعراب في الإبانة عن المعاني الوظيفية التي تسهم بشكل أساسي في فهم معاني الجمل؛ ثمّ إلى رحاب تشكيل المعاني والدلالات ومنها على مستوى التراكيب ثم على مستوى النصّ ...وهذا ما عبّر عنه ابن جنّي بقوله» :هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنّك إذا سمعت أكرم سعيد أباه وشكر سعيدا أباه، علمت برفع أحدهما الفاعل من المفعول ولو كان الكلام شرجا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه .«

ولكنْ كثيرا ما يقع تداخل بين النحو والإعراب والقاعدة؛ لما بين هذه الأقطاب الثلاثة من التقارب والتكامل لوقوعها في حقل واحد، غير أنّ كلّا منها يتميز عما سواه، ولعلّ ما نطالعه عند نحاتنا القدامى من مزج بين النحو والإعراب وبيان لأهمية الإعراب قد يوهم المتعلمين أن النحو هو الإعراب، وهذا مذهب كثير من القدامى قال الخليل» :هَذَا

كتاب فِيهِ جملَة الْإِعْرَاب إِذْ كَانَ جَمِيع النَّحْو فِي الرّفْع وَالنّصب والجر والجزم«؛ أي إنّ النحو مرادف للإعراب فلا يكاد يتجاوزه وهذا دليل على انشغالهم به، وهو موقف له مبرراته إذا نظرنا في ما كان من تفشي للّحن وانتشار العجمة، وما يترتب عن ذلك من شوائب تهدد اللّسان العربي الفصيح.

أمّا النحو في الدرس اللغوي الحديث فقد أطلق عليه الباحثون الوصفيّون مسمّى) النحو القديم(، وهذا النحو القديم كان مستقرّ الأركان ولا يزال كذلك منذ قرون بعيدة، حتى إنّ علماء اللّغة المحدثين يضطرون غالبا إلى بدء أبحاثهم بإزالة الأوهام الراسخة قبل أن يتناولوا أسس المنهج الجديد، وبعد أن ثبتت دعائم المنهج الوصفي بعدّه الوسيلة العلمية الصحيحة لدراسة الظواهر اللغوية كما هي.

غير أنّ النحو نحا منحى آخر عند نعوم تشومسكي (A.N. Chomsky) في نظريته التوليدية التحويلية؛ لأنّه قوّض الدعائم التي قام عليها علم اللغة الحديث، وأقام بناء آخر قائما على نقدٍ عنيف وجّهه صوب المدرسة الوصفية، ونقد أيضا منهج بلومفيلد (Bloomfield) اللّغوي الذي رآه علميّا إلى درجة المتطرّف، كما رفض التوجّه الأنثربولوجي الذي اعتمده سابير .(Sapir) ويرى تشومسكي أنّ دراسة اللّغة لا يمكن أن تقف عند الوصف؛ بل يجب أن تعيننا على فهم الطبيعة البشرية؛ حيث يسعى تشومسكي إلى بناء نظرية لغوية عامة تصدر عن اتّجاه عقلي، وتقوم هذه النظرة أساسا على مبدأ لا نهائية اللّغة؛ إذ يرى أنّ اللّغة تقوم على مجموعة محدودة من الأصوات ومع ذلك فإنّها تولّد جملا لا نهاية لها .

2-النصّ:

يعدّ النصّ أحد أهم المرتكزات الأساسية التي تقوم عليه الحياة الاجتماعية؛ إذ لا يمكن تصور مجتمع منسجم ومتماسك دون نصوص تنظم مختلف مؤسساته وتضبط قوانين اشتغالها، وتقنّن التعامل بين أفرادها بما يضمن لها الثبات والاستقرار.

ومن خلال إنعام النظر في المعاجم العربية قديمها وحديثها يستبين لنا جليّا أنّ النص يعني :الظهور والثبات، وعلو المصدر، والاستقصاء التام، والتركيب والترتيب، والاقتصاد.

أمّا في المعاجم الغربية فمصطلح النصّ يقابله لفظة "Text" التي تعني النسيج؛ فالنص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض؛» هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح نص.«

وقد وردت اصطلاحا تعريفات عديدة للنص يمكن تقسيمها إلى قسمين أحدها النص في اصطلاح العلماء المسلمين، والثاني النص في اصطلاحات الدراسات المعاصرة .أما النصّ في اصطلاح العلماء المسلمين فقد عرّفه مثلا الشريف الجرجاني) ت 816 هـ (بقوله» :هو ما لا يحتمل إلا معنى واحدا، وقيل :مالا يحتمل التأويل.«

وأما النص في اصطلاح المحدثين فهو النسيج العام الذي يتألف من خيوط متناسقة على هيئة مخصوصة ويتعدى الجملة بعدّه سلسلة من الجمل يضبطها مبدآن :مبدأ الوحدة ومبدأ الاتّساق والتناسق، وقد استخدم النصّ في اللغويات المعاصرة مرادفا للخطاب) بوصف الخطاب نصّا وظروف إنتاج (وتارة بوصفه سلسلة جمليّة مجرّدة معزولة عن ظروف إنتاجها؛ فالتعريفات التي ورد علها النص حديثا كثيرة ومختلفة، فبعضها يقصر على النصّ المنجز كتابة، وبعضها يجمع في التعريف بين المكتوب والملفوظ، ومنها ما يراعي جانب الوظيفة التواصلية، ومنها ما يهتم بعنصر التتابع بين ألفاظ النص على الوظيفة الدلالية للنص، ومنها .

ومن أشهر التعريفات التي تناولت النصّ تعريف هاليداي ورقية حسن إذ عدّا كلّ متتالية من الجمل نصّا، شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات.

وإزاء غياب تصوّر عربي لمفهوم النص فقد لجأ الباحثون العرب إلى اعتماد المفاهيم الغربية المسندة لهذه الظاهرة .

3– التعليميّة:

تنحدر كلمة التعليمية" ديداكتيك "من حيث الاشتقاق اللغوي من أصل يوناني "Didakticos " أو " Didaksein" وتعني حسب قاموس روبير الصغير" Le Petite robert درس أو علم." Enseigner" "

ويعود الفضل في ظهور مصطلح التعليمية (DIDACTIQUE) في الفكر اللساني المعاصر إلى ماكاي (M.F.Makey)الذي بعث من جديد المصطلح القديم للحديث عن المنوال التعليمي.

ويقصد بها اصطلاحا :كلّ ما يهدف إلى التثقيف، وإلى ما علاقة له بالتعليم .وقد عرّف مُحَمَّد الدريج التعليميّة في كتابه" تحليل العملية التعليمية "كما يلي :هي الدراسة العلمية لطرق التدريس وتقنياته، ولأشكال تنظيم مواقف التعليم التي يخضع لها المتعلم قصد بلوغ الأهداف المنشودة، سواء على المستوى العقلي المعرفي أو الانفعالي الوجداني أو الحس حركي مهاري.

كما تتضمن البحث في المسائل التي يطرحها التعليم في مختلف المواد، ومن هنا تأتي تسمية" تربية خاصة "أي خاصة بتعليم المواد الدراسية) الديداكتيك الخاص أو ديداكتيك المواد(، في مقابل التربية العامة) الديتاكتيك العام (التي تهتم

بمختلف القضايا التربوية حول مقاربة المنهج الدراسي في مجال التربية والتعليم من البيداغوجية والديتاكتيك إلى المنهاج الدراسي.

ورغم كل ما يكتنف تعريف التعليمية من صعوبات؛ فإنّ معظم الدارسين المهتمين بهذا الحقل، لجؤوا إلى التمييز في التعليمية بين نوعين أساسيين يتكاملان في ما بينهما بشكل كبير، وهما:

-التعليمية العامة :تهتم بكل ما هو مشترك وعام في تدريس جميع المواد، أي القواعد والأسس العامة التي يتعين مراعاتها من غير أخذ خصوصيات هذه المادة أو تلك بعين الاعتبار.

-التعليمية الخاصة أو تعليمية المواد :تهتم بما يخص تدريس مادة من مواد التكوين أو الدراسة، من حيث الطرائق والوسائل والأساليب الخاصة بها.

مشكلات تعليم مادة النحو:

إنّ واقع التدنّي الملحوظ الحاصل لدى التلاميذ والطلاب في توظيف القواعد النحوية ينبئ عن الخطر الكبير والخلل في تحصيل هذا العلم، فقد صار إدراك القواعد النحوية وحسن استخدامها من العوائق التي تواجه المتعلمين في مختلف المراحل والمستويات الدراسية وهذا ما يتجلى في قراءاتهم ومحادثاتهم وكتاباتهم..، وهناك عدّة حالات وأسباب جعلت الطلبة ينفرون من دراسة النحو العربي بعضها يعود إلى الطالب وبعضها يعود إلى الأستاذ والبعض الآخر يعود إلى المنهج.

أ-الطالب :

إنّ جولة قصيرة في قسم اللّغة العربيّة وآدابها واستقراءً بسيطا لمستوى الطلبة يجعلنا نتلمّس ضعفا واضحا في مستوى لغتهم، وركاكة ورطانة، وفشّوا للّحن والزلل وافتقارا للقدرة على نظم الكلام وتأليف العبارة؛ بل تمازجا غريبا بين الفصيح والعامي والأجنبي!

فكثير من طلبة اللّغة العربيّة خاضوا غمار هذا التخصص مكرهين بعد أن تمّ رفضهم في أقسام أخرى، وهم فوق ذلك ينظرون إلى اللّغة العربيّة على أنّها لغة تخلّف ورجعيّة لا تواكب التطوّر العلمي ولا تتساوق ومتطلّبات الحضارة المعاصرة.

في حين اختار آخرون هذا التخصص عن رغبة، لكنّ الأفكار والمعلومات التي تلقّوها في المراحل السابقة يكتنفها الارتباك، والقصور والغموض؛ ذلك أنهم لم يستوعبوها استيعابا صحيحا؛ حيث نجد كثيرا منهم لا يفرق بين أقسام الكلمة، كالاسم، والفعل، والحرف.

ب–الأستاذ:

إنّ أهم ما يعاني منه أستاذ اللّغة العربيّة هو غياب التخصص في علوم التربية والإعداد العلمي التربوي لدى الإطار الجامعي من شأنه أن يؤثر سلبا على المتعلمين؛ إذ إنّ المقاييس أو المواد تُسند إلى غير أهلها بغية إكمال النصاب القانوني في العمل أو سدّ الفجوات.

كما تتمثّل المشكلة في الأخرى في انتهاج كثير من الأساتذة مبدأ التدريس باللّغة العاميّة لمادة النحو العربي، وهنا تناقض بيّن بين الغاية والوسيلة؛ إذ إنّ من يُراد به أن ينطق على سنَن كلام العرب وجب أن يخاطب بلغتهم الفصيحة السليمة القويمة؛ لأنّ التدريس بالعاميّة من شأنه التهوين من أهميّة التعامل اليومي بالعربية الفصيحة بين الناس.

ومن جهة أخرى يستخدم كثيرٌ من الأساتذة اللّغات الأجنبية حتى في المزاح والتفكّه، ويسلكون مسلك الإملاء في تقديم الدروس؛ مما يثقل كواهلَ الطلبة ويقلّل من تركيزهم واستيعابهم، ويعوّدهم على الحفظ والاستظهار والتكرار .كما أنّ كثيرا من الأساتذة يستخدمون أسلوبا خشنا في المعاملة، وينحون إلى ترهيب الطلبة بسلطة النقاط؛ ممّا يولّد لديهم الاستياء وعدم الفهم.

ج–المنهج:

إنّ المنهجية السائدة في تدريس النحو قديما وحديثا لا تركّز على طرائقه ومحتوياته؛ ولا تنظر إليه بعدّه علما يروم تكوين الملكة عند المتعلّم؛ وإنّما هو علم صناعة القواعد النحوية وتلقينها والتركيز على الإعراب بعدّه النحو؛ وقد تسبّب هذا في نفور المتعلّمين وتذمّرهم من الدرس النحوي.

إنّ أوّل ما يشدّ النظر هو أنّ الفلسفة اللغويّة ذات الرؤية الشمولية لموضوعات النحو العربي غائبة عن واضعي" فلسفة المنهج"؛ إذ إنّهم وزّعوا مفردات البرنامج توزيعا عشوائيا على سنوات الدراسة المتدرجة التي توزّع الموضوعات قبل المرحلة الجامعية على سنوات الدراسة توزيعا يتناسب وعمر المتعلّم الذي يجبر على دراسة الموضوع الواحد في السنوات كلّها.

كما يزدحم المنهج النحوي بكثير من المجالات المتشعبّة .ويرى كثير من المتخصّصين هذا التشعّب ويقدّره .وإنّ تعليم كل هذه التشعّبات للطالب الجامعي بصفة غير منهجية تفقده قدرة الاستيعاب، ومن هنا بات على واضعي المناهج أن يبحثوا عن إجابة لسؤال :ماذا يجب أن ندرّس في كل المراحل التعليمية؟

د–التأليف النحوي :

لقد امتاز التأليف النحوي في بداياته بأنّه كان خليطا من المسائل الصرفية والنحوية، وشيئا من علوم اللّغة والأدب، ومنذ عهد الخليل) ت 170 هـ (بدأ التأليف النحوي يستوي على سوقه؛ إذ تجمّعت لسيبويه) ت 180 هـ (مادة غزيرة ألّف بها كتابه العظيم" الكتاب "الذي قال عنه أبو عثمان المازني) ت 247 هـ» :(من أراد أن يؤلف كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي«، ثم تواتر التأليف في علم النحو، وكلّ المؤلّفات التي أُلفت بعد كتاب سيبويه اقتبست منه ونهلت من معينه، وتصنّف إلى أربع مجموعات :القسم الأول :هي الكتب التي تعالج الموضوعات النحوية والصرفية بالأسلوب التعليمي، والمجموعة الثانية :كتب الموضوعات ككتب المقصور والممدود، والمجموعة الثالثة :هي كتب مقاومة اللحن وتصحيحه، والمجموعة الرابعة :كتب التطبيق النحوي ككتب أعاريب القرآن، وكتب المجالس العلمية، وكتب الأمالي .ثم ظهرت المنظومات النحويّة والشعر التعليمي، والمختصرات النحوية بغية تقريب النحو إلى أذهان الطلّاب.

وفي العصر الحديث نفحت الروح في البحث النحوي فانتقل من مجرّد البحث في بنية الكلمة إلى البحث عن علاقة النحو بعلم اللّغة الحديث وفقهها، وكيف يستفيد النحو من هذا البسط العلمي الجديد؛ مما جعل النحويين في هذا العصر يبدؤون بحوثهم بتعريف اللغة، وعلمها، وفقهها، ومجالات علمها.

والملاحظ على أغلب الكتب المدرسية في وقتنا الحاضر هو غياب الرؤية العلمية الواضحة لواضعيها، وتطفّل واضعي المنهج، وافتقارهم إلى الرؤية المعرفية العامة التي تربط قواعد اللّغة في كتب النحو باللغة أولا وبالمجتمع ثانيا؛ حيث يقضي الطالب جلّ وقته في الحفظ والتسميع دون فهم واستيعاب، وإذا ما تصدى لكتابة مقال أو التعبير ارتكب أخطاء فادحة؛ بل كارثية أحيانا، وهناك كثيرٌ من المواضيع المُدرجة لا تساعد على استيعاب المادة؛ بل تجعل عملية التعلّم معقّدة وصعبة.

الطرق السائدة في تدريس مادة النحو:

المراد بطرق التدريس الأسلوب الذي يستخدمه المعلّم في معالجة النشاط التعليمي، ليحقق وصول المعلومات إلى طلّابه بأيسر السبل وأقلّ وقت؛ أي» هي النظام الذي يسير عليه المدرّس في إلقاء درسه ليوصل المعلومات إلى أذهان التلاميذ.«

وطريقة التدريس ونوعيتها لها علاقة بتحسين مستوى التلميذ في مادة القواعد، ويتّبع مدرسو اللّغة العربيّة طرائق عدّة في تدريس قواعدها.

ولقد شاع اعتبار التدريس وسيلة لإيصال المعلومات إلى المتعلّم بتوسيط المعلّم؛ فالتعليم في وفق هذا المنهج لا يعدو كونه عملية نقل معلومات من الكتب أو من عقل المعلّم إلى المتعلّم.وأهم الطرق المنتهجة في تدريس قواعد اللّغة هي:

-1الطريقة الإلقائية:

وهي طريقة قديمة وتقليدية تقوم على أسلوب المحاضرة أو الإملاء، وهي مستعملة كثيرا في الجامعات الجزائرية، وهذا بإلقاء المعلومات، وتحوّل من عقول المعلّمين إلى عقول المتعلّمين، ومن أهمّ سمات هذه الطريقة أنّ المعلّم هو من يدرُس ويفكّر بينما لا يفكّر المتعلّمون، وهو المتحدّث وهم السامعون، وهو من يختار وهم يمتثلون، وهو من ينشط وهم يظنّون أنّهم ينشطون من خلال نشاط المدرّس، وهو من يختار المحتوى، وهم يتكيّفون، وكنتيجة فإنّ المدرّس هو محور العملية والدارسون أشياء.

-2الطريقة الاستقرائية:

تستند الطريقة الاستقرائية إلى أساس فلسفي مداره أنّ الاستقراء أسلوب يسلكه العقل في تتبع مسار المعرفة؛ ليصل به إلى المعرفة في صورتها الكلية بعد تتبّع أجزائها، وعليه فالهدف من هذه الطريقة هو الكشف عن القواعد والحقائق واستخدام الاستقصاء في تتبعها، والوصول إليها.

وهذه الطريقة تبدأ بالتدرّج في بناء القاعدة، ولقد كُتبت وفق هذه الطريقة كتب في العصر الحديث، مثل كتاب النحو الواضح لعلي الجارم، وكذلك الكتب المدرسية في الجزائر خاصة المدرسة الأساسية في ثمانينات القرن الماضي؛ فالمعلّم وفق هذه الطريقة يحضّر الأمثلة، ويسجّلها على السبورة، ثم يناقشها مع تلاميذه مثالا مثالا ليبني معهم القاعدة بالتدرّج، ثم يطبّق في نهاية الدرس حول القاعدة المتوصل إليها من أفواه التلاميذ، وهي أفضل من الطريقة القياسية من حيث الفهم؛ لأنّها تتبع السنن المنطقية للإدراك .

خطوات الطريقة الاستقرائية :

أ–التمهيد :في هذه الخطوة يهيئ المعلّم تلاميذه لتقبل المادة الجديدة، وذلك عن طريق القصة والحوار أو بسط الفكرة.

ب–العرض :وهو لبّ الدرس وبه يتحدد الموضوع بحيث يعرض المعلّم عرضا سريعا للهدف الذي يريد الوصول إليه.

ج–الربط أو التداعي أو الموازنة أو المقارنة :في هذه الخطوة تربط الأمثلة مع بعضها، وتعني أيضا الموازنة والربط بين ما تعلمه التلميذ اليوم.

د–التعميم :في هذه الخطوة يستنتج التلميذ بالتعاون مع المعلم القاعدة التي تعد وليدة القسم الأكبر من التلاميذ.

هـ–التطبيق :هي خطوة مهمّة جدّا؛ لأنّ دراسة القواعد لا تؤدي ثمارها إلا بالتطبيق عليها.

–3الطريقة القياسية:

تُعدّ طريقةً قديمة في تدريس النحو وتقوم فلسفتها على انتقال الفكر من الحكم على الكلي إلى الحكم على الجزئي ومن المبادئ إلى النتائج، وهي بذلك من طرق العقل في الوصول إلى المجهول من المعلوم.

وهي طريقة معقّدة نوعا ما؛ لأنّها تبدأ بالمجرّد أي بذكر القاعدة كاملة؛ فالمعلّم بعد أن يكتب القاعدة يبدأ باستخراج النتائج الفعلية والمنطقية من خلال تدقيق ما تحتويه تلك المفاهيم، وينتقل بذلك إلى القضايا الجزئية والمفهومات الشخصية.

إنّ الطريقة القياسية هي الانطلاق من العام إلى الخاص، ومن الكل إلى الجزء؛ أي من القاعدة النحوية المقصودة إلى الأمثلة التي توضّح هذه القاعدة، وهي التي كانت يُدرَّس بها في الزوايا، والكتاتيب، وكُتبت على أساسها أغلب الكتب التعليمية القديمة، وما تزال تُدرّس بها محاضرات النحو في الجامعات.

خطوات الطريقة القياسية:

أ–التمهيد :وهي الخطوة التي يتهيأ فيها التلميذ للدرس الجديد،، وذلك بالتطرق إلى الدّرس السابق، وهكذا تتكون عند التلاميذ الدافعيّة للدرس الجديد.

ب–عرض القاعدة :تُكتب القاعدة كاملة ومحددة بخط واضح يثير انتباه التلاميذ ويشعرهم بأنّ هناك مشكلة تتحدى تفكيرهم؛ ليبحثوا عن حل لها.

ج–تفصيل القاعدة :بعد أن يشعر التلاميذ بالمشكلة يطلب المعلم منهم الإتيان بأمثلة تنطبق عليها القاعدة انطباقا تاما، فإذا عجز التلاميذ فعلى الأستاذ مساعدتهم.

د–التطبيق :بعد شعور التلاميذ بصحة القاعدة وجدواها نتيجة للأمثلة التفصيلية الكثيرة حولها، فإنّهم يمكن أن يطبّقوا على هذه القاعدة، ويكون ذلك بإثارة المعلّم للأسئلة أو إعطاء أمثلة أو التمثيل في جملة.

–4تدريس القواعد بأسلوب تحليل الجملة:

تعتمد هذه الطريقة على أسلوب جديد في تدريس القواعد يقوم على تحليل الجملة، وهي تعتمد على فهم المعنى أساسا؛ أي أن يحلّل التلاميذ بالتعاون مع المعلّم النّص، سواء كان ذلك النص آية قرآنية أو حديثا نبويا، أو بيتا شعريا، أو قولا عاديا تحليلا يقوم على فهم المعنى، وهذا يتيح للتلميذ التوصل إلى تحديد موقع اللّفظة أو الجملة من الإعراب.

–5الطريقة الحواريّة:

تقوم هذه الطريقة على الحوار، فالمعلم لا يتكلّم وحده؛ بل يكون هناك تفاعل متبادل بين المعلّم والمتعلّم عن طريق المناقشة والحوار في موضوع ما، فيسأل المعلّم طلّابه، ويسمع منهم الأجوبة المختلفة، لأجل التدريب على التخمين؛ والحدس الذهني لتنمية الجوانب الذهنية، ومن محاسن هذه الطريقة :الجو الجميل الذي تشيعه، فتكسر الجمود، وتدفع الملل، وتثير دافعية التعلّم، وتفسح المجال أمامه لاستثارة انتباه الطلبة، وتُشعر الطالب بمساهمته من خلال الأسئلة والأجوبة، مما يسهم في تثبيت المعلومات وترسيخها في ذهنه.

–6طريقة حل المشكلات:

تحاول هذه الطريقة إشعار التلميذ بالمشكلة التي هو بصدد حلّها؛ فيحاول أن يتخلص منها بالرجوع إلى قواعد اللغة وتعتمد هذه الطريقة على النشاط الذاتي للتلميذ، وذلك من خلال أعماله اللغويّة من قراءة وكتابة وتعبير؛ حيث يلاحظ المعلّم الأخطاء المشتركة بين التلاميذ فيجمعها ويناقش تلاميذه حولها من حيث طبيعتها وأسباب الوقوع فيها، فيتبيّن لهم جهلهم بالقاعدة التي لم يسبق في خبراتهم أن اطّلعوا عليها، فيقعون في لبس وحيرة وعجز، وهم بهذا يحتاجون إلى المعلّم لكي يعينهم على الخروج من الورطة التي وقعوا فيها، أو يجدون أنفسهم بحاجة إلى مراجعة القاعدة النحوية.

فعالية المنهج النصّي في تعليم مادة النحو:

لقد ظلّت الجملة ردحًا من الزمن فحوى الاهتمام ومقصد الدراسة عند جميع الباحثين على اختلافهم وتنوّع انتماءاتهم ومدارسهم، وعُدّت عندهم الوحدة الكبرى في التحليل اللّغوي، وتناولوها بالدراسة من أوجه متعدّدة .

ولكنّ هذه الرؤية بدأت تخبو، وظهر للعيان قصور الجملة وعدم قدرتها على تفسير الكثير الظواهر اللّغويّة .ومن هذا المنطلق اتّجه اهتمام الباحثين إلى البحث عن البديل فاستقرّ رأيهم على النص الذي مثّل النّواة التي انبثقت على أساسها نظرية معرفية لسانية جديدة ظهرت في سبعينات القرن الماضي وسُمّيت :لسانيات النص.

اتّجه هذا الفرع اللّساني الجديد إلى البحث في نصيّة النصوص؛ أي في الوسائل التي تجعل من النصّ متماسكا ومتلاحما، وبالتالي فإنّ» التماسك النصّي «يعدّ أهم المفاهيم التي أفرزها هذا الحقل اللّساني، وهو جانب مهمّ وأساسيّ يتجاوز حدود الربط بين أجزاء الجملة المفردة إلى البحث في الوسائل التي تحقّق التلاحم بين مجموعة من الجمل المتماسكة، ولا يتحقّق ذلك إلّا من خلال مجموعة من الأدوات النحويّة كالإحالة والعطف والتكرار والاستبدال والاتّساق؛ والآليات الدلاليّة كالسياق والتغريض والبنية الكليّة والتأويل .

وما يشدّ الانتباه إلى هذا الحقل المعرفي اللّساني هو أن أدواته الإجرائية لمّا يوقف على تحديدها بشكل إجمالي بعد، ومدار البحث والاستزادة فيه مفتوح ومبسوط للدارسين من أجل تطعيمه بمباحث أخرى تُثري المقاربة النصيّة وتوسّع آفاقها ومدارجها.

إنّ المقاربة النصيّة تعتمد مبدأ النصيّة(Textuality) ، ولا يكون النصّ نصّا إلّا إذا كان متماسكا؛ والتماسك النصّي من المصطلحات التي ظهرت في إطار لسانيات النص .ويعبّر به عن التلاحم بين وحدات وعناصر النصوص، من خلال مجموعة من العلاقات التي تربط أواصر النص بعضها ببعض، حتى يصير قطعة واحدة تحمل خصائصها الذاتية والنوعية التي تميّزها عن غيرها من النصوص الأخرى.

فهو المعوّل عليه لتمييز النص عن غيره من التراكيب اللّغوية التي تشاركه في حصول الدلالة، لذلك انبرى بعضهم في رحاب لسانيات النص يحدّد المبادئ العامة التي ينبغي أن تتوافر في أي ممارسة لغوية لكي ترقى إلى مستوى النص، أهمّها :الاتّساق(Cohesion) ، الانسجام(Cohérence) ، القصد(Intentionality) ، المقامية(Situationality) ، التناص(Inetertextuality) ، الإخبارية(Informativity) ، المقبولية أو الاستحسان.(Acceptability)

والحقّ أنّ القدامى انتبهوا إلى أهميّة الدراسات النصيّة؛ إذ لم يقفوا عند الحدود الخارجية للنص فحسب؛ بل تنبّهوا إلى ما يفوق ذلك، فبرزت لهم الوشائج والعلاقات التي تربط بين مفردات تلك التراكيب فتحليلها إلى نسق معيّن يؤدّي المعنى المقصود، فكان التركيز على الكشف عن الدلالات وكيفية التوسع فيها من قبل منشئ النص ببعثه طاقة إيحائية في الألفاظ، ووضعها في سياقات مختلفة الأمر الذي يكسبها حياة جديدة؛ فالسياق يلعب دورا بارزا في بيان الدلالة

العامة للنص بمجمله على أنّه وحدة متكاملة تترابط جزئياتها بعلاقات خفية تحكم اتّساق تلك الجزئيات، وتسهم في إنجاز عملية التوصيل.

إنّ مدار الأمر في المنهج النصّي التعليمي هو النصّ المختار والمنتقى للدراسة، وله غايات أخرى لا تنحصر في الاتّساق والانسجام فقط؛ بل تتعدّاه إلى رحاب تثبيت المعلومات وتجذير السنن وترسيخ السلوك، لهذا صار أساسا في المعاملات القانونية والممارسات الدينية والأدبية والتعليمية...وتنوّع النص إلى نصوص ذات نصيّات مميّزة فصار يقال النصّ القانوني والديني والأدبي والعلمي التعليمي .

ولأنّ كثيرا من الباحثين فرّقوا بين النصّ والخطاب بعدّ الأوّل مكتوبا والثاني منطوقا، فإنّ التدريس الجامعي قد دخل في نطاق الخطاب، والخطاب التعليمي يقوم على» تحويل المادة العلمية إلى مادة) خطاب (ذات طابع تعليمي «،فمن المعلوم أنّ ما تعجّ به كتب النحو من مباحث فيها الغثّ والسمين، وفيها البسيط والمعقّد، وفيها المتدرّج والمتفاوت، وعليه فعلى الأستاذ أن ينتقي مادة تناسب متطلبات الدّرس المراد التطرّق إليه.

إنّ المنهج النصّي في تعليمية النحو يقتضي منا أن نُشيح بأنظارنا عن الأفكار التعليمية البالية التي أرخت سدولها على مناهجنا وطلبتنا و بعض أساتذتنا والتي تنظر إلى قواعد النحو على كونها هدفا في حد ذاته يرسّخ ثقافة الحفظ والاستظهار والتكرار والاجترار؛ بل يجب التعامل معها على أنّها وسيلة يستفيد منها المتكلّم ليحوز الملكة ويستعملها في نظم الكلام على سنن العرب، يقول ابن خلدون) ت 808 هـ» : (وهذه الملكة..إنّما تحصل بممارسة كلام العرب، وتقرره على السمع، والتفطن لخواص تركيبه، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها أهل صناعة البيان، فإنّ هذه القوانين إنّما تفيد علما بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها .«

يرتكز التحليل اللّساني للنص على نقاط أساسية تشمل جوانب اللغة، وبما أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية منظمة فهي تحتوي على مستويات مختلفة تمكنّ الدارس من تحليلها، وتجلية ما استتر منها بالكشف عن مستوياتها المعجمية والتركيبية والدلالية والبلاغية والتداولية .وقد أولت لسانيات النص هذه المستويات اهتماما خاصا، فبرز إلى السطح تحليل النصوص على ضوء المفاهيم المستفادة من تلك المستويات اللغويّة، فالنص بناء لغوي يتكون أساسا من مفردات تواضع عليها أهل اللغة والمتكلمون بها، وهو ما يمثل المستوى المعجمي، فلكلّ لغة معجمها الخاص، كما لكل نصّ مفرداته المميزة له التي يختارها منتج النص بعناية، ومن هذه المفردات المعجمية تتألف الجمل التي تشكل البناء السطحي للنص.

ويُتطلّب في النص المختار للدراسة أن يكون متوافقا مع مستوى المرحلة التعليمية للمتعلّم، وهذا يتطلّب أن يتوفّر في النصّ السلامة اللغويّة والنضج والأهمية والاختصاص، وتطبيق هذه الأسس أثناء عملية تحليل مستوى نص تعليمي جامعي تساعدنا على معرفة ما إذا كان هذا المستوى مناسبا لمستوى الطلبة ومقدار تحصيلهم .وهذا يؤدي إلى تحديد الدرجة التي يتلاءم بها محتوى النص المدرّس مع محتوى الكتب الجامعية في صفوف أدنى وتهيئة هذا المحتوى ليتلاءم مع محتوى كتب الصفوف الأعلى.

وبناء على ما سبق هناك معايير عالمية يتم على أساسها اختيار النص التعليمي من أهمها ما يأتي:

أ–معيار الصدق :يحكم هذا المعيار على النص التعليمي بأنه صادق إذا عمل على تحقيق الأهداف الموضوعة له، مراعيا الفروق الفردية بين المتعلمين، كما يعرفنا على مستوى توافق محتوى المحاضرة مع قدرات المتعلمين على الاستيعاب .

ب–معيار الأهمية :يعد النصّ نصا مهما إذا اشتمل على مجموعة مفاهيم وتعميمات، ومعارف تهدف إلى تحقيق أهداف تعليمية منشودة يقتضيها المقام.

ج–معيار اهتمامات المتعلّم :يؤدي إهمال اهتمامات المتعلّم إلى فقدانه الرغبة في التعلّم، ولذلك فهي تهتم بإتاحة الفرصة أمام الطلبة ليشاركوا فعليا في اختيار موضوعات الكتاب الجامعي التي تهمّهم؛ لذلك يجب أن يكون النصّ واضحا يستثير اهتمامات المتعلّم، ولا يمكن أن تتحقق الدافعية عند المتعلّم إلّا إذا عرف الغرض من النص، وأهميته والفوائد التي يعود بها عليه.

وما يميّز طريقة النصّ هي أنّها وسيلة تصبو إلى تحقيق هدف أو منهجية معيّنة يستخدمها المعلّم لتحقيق غاية نبيلة هي إنارة عقول المتعلمين وتعدّ طريقة النص في تعليم القواعد الطريقة المثلى لتميّزها بخصائص تضفيها على المتعلّم من بينها:

–تنمية المهارات اللغويّة في القراءة والكتابة، فعدم توظيف القواعد في التحدث والقراءة يؤدي إلى فقد هذه المهارات.

–الوقوف على نظام اللغة وقوانينها الإعرابية كما هي، متصلة في النص، أي بشكلها الفعلي، فقراءة النص جهرا–من قبل المعلّم –تتيح للتلاميذ تمييز النطق الجيد، والفهم الواعي للمعنى.

–اللغّة تعلّم من خلال اللّغة ذاتها؛ فيظهر حرص المتعلم على استعمال اللّغة والتفكير بها.

–ترسيخ اللّغة وأساليبها المبتكرة، ويمتزج هذا الرسوخ بخصائص اللّغة الإعرابية.

-تعتمد هذه الطريقة على المران المستمد من الاستعمال الصحيح للّغة في مجالات الحياة.

-تنوّع النصوص يضفي ثراء على الكفايات؛ فتنمو وتتحسّن من خلال مسيرة التعلّم واستمراريته.

-اكتساب ملكة التذوق الفني والعمل على تنميتها.

ولا ريب أنّ أرقى النصوص وأسمقها وأعلاها هو القرآن الكريم الذي اشتمل على جميع المعايير النصّية؛ فهو مورد خصب وبحر لا ساحل له يعجّ بأرقى الأساليب، ومتضمّن لأعجز البلاغات، ومحيط بكلّ القواعد،ومزكّى بأعطر الألفاظ والعبارات .ولو أُنتهج طريق واضح المعالم، ومؤطّر المقاصد من أجل صياغة تعليميّة نحويّة مبنيّة على أساس المنهج النصّي، لكان النصّ القرآني الأنموذج الأمثل، والحقل الأخصب للنهل من معينه من أجل تحقيق الغاية المرجوة وبلوغ الهدف المنشود في تعليم مادة النحو العربي في جميع الأطوار .ولا ريب أنّ ذلك يحتاج لحزم وتخطيط ودراسة وتقنين يقع على عاتق الجامعات والمؤسسات اللغوية، وإلى أن ينبلج فجر حلّ المشكلات والعمل على حلّها، بدلا من بسطها وتحليلها، فسوف يبقى" دارس النحو "باحثا عن أفضل" نحو "يعينه على دراسة" مادة النحو."

الهوامش والإحالات: